الإمامة في الذرية سنة

<"xml encoding="UTF-8?>

إننا نلاحظ في دراستنا لتاريخ الأنبياء والمرسلين ، أن هذا التكريم قد تحول إلى سنة من السنن الواضحة في التاريخ الرسالي ، وذلك عندما نرجع إلى القرآن الكريم ومفاهيمه وآياته وتصوره لحركة الرسالات الإلهية والأنبياء ، ومن ذلك ما نقرأه في قوله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجت من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العلمين * ومن آبائهم وذريتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صرط مستقيم) فعندها نجد أن القرآن الكريم يتحدث عن إبراهيم عليه السلام وكيف جعل الله تعالى في ذريته النبوة ، ويذكر مجموعة من أسماء الأنبياء من ذريته بدون ترتيب زماني ، ثم يشير إلى أمرين يمكن أن نفهم منهما هذه السنة التاريخية :

أحدهما : الانتقال بالإشارة إلى نوح عليه السلام (ونوحا هدينا من قبل) ليربط هذا التاريخ بما قبل إبراهيم عليه السلام .

ثانيهما : تعميم النعمة على الآباء والذريات والإخوان ، مما يفهم منه القانون العام (ومن آبائهم وذريتهم وإخوانهم) .

وهكذا ما ورد في سورة مريم ، عندما تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من الأنبياء :

إبراهيم وبعض ذريته وإدريس قبل إبراهيم ثم يختم الحديث بالقانون العام (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)

والشئ نفسه – أيضا – يذكره القرآن الكريم في سورة الحديد ، ولكن على نحو الإشارة ، وذلك عندما يتحدث عن نوح وإبراهيم عليهما السلام ، حيث جعل في ذريتهما النبوة ، قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في

ذريتهما النبوة والكتب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وموارد أخرى لا يسع المجال لتفصيلها .

إذا فهذه من السنن التي كانت تحكم مسيرة الرسالات الإلهية ، فلا نرى غرابة في أن هذه السنة تجري – أيضا – في هذه الرسالة الخاتمة ، بل هي امتداد لسنة إلهية ، شاء الله أن يجعلها حاكمة على مسيرة الأنبياء والمرسلين منذ بداية الرسالات الإلهية وإلى نهايتها .

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الإمامة بدأت من نوح عليه السلام – كما يذهب إلى ذلك العلامة الطباطبائي قدس سره وشهيدنا الصدر قدس سره – فقد نرى أن التأكيد في القرآن الكريم على نوح وإبراهيم عليهما السلام ، وجعل النبوة في ذريتهما ، إنما هو إشارة إلى قضية الإمامة واستمرارها في ذرية هذين النبيين ، ولا سيما أن النبي صلى الله عليه وآله هو – أيضا – من ذرية إبراهيم عليه السلام ، حيث أنه ينتمي إلى إسماعيل عليه السلام ، وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ونبينا هو دعوة إبراهيم عليه السلام ، وبذلك تصبح القضية مرتبطة تماما بهذه السلسلة المباركة للأنبياء من ناحية ، وهذه السنة التي كتبها الله تعالى في الرسالات الإلهية ، وهي سنة التكريم والتشريف لهم ، والنعمة الإلهية عليهم .

النقطة الثالثة : التي يمكن أن يشار إليها بهذا الصدد وهي أن قضية التشخيص في أهل البيت عليهم السلام ، ليست مجرد عملية تكريم.